



أنوار السنة المحمدية

(التعليق على رياض الصالحين)

المحاضرة السادسة

باب الصبر

الآيات

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا} [آل عمران: ٢٠٠] وقال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ١٥٥] وقال تعالى: {إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠] وقال تعالى: {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: ٤٣] وقال تعالى: {اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ١٥٣] وقال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ} [محمد: ٣١] والآيات في الأمر بالصَّبْرِ وَبَيَانِ فَضْلِهِ كَثِيرَةٌ مَّعْرُوفَةٌ.

الفوائد

اختيار موضوع الصبر اختيار موفق، فهو من مواضيع الإسلام الكبرى.

الصبر باب عظيم من أبواب التفقه في الدين، والفقه في الدين ليس مقتصرًا على معرفة الأحكام الشرعية فقط.

من ضمن الآيات التي تدخل في الباب: تعليق الجنة على الصبر، مثل: {وَجَزَلْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} والصبر هنا ليس مقتصرًا على الابتلاءات الصعبة.

ورد عن ابن مسعود أن الصبر نصف الدين.

الأحاديث

1. وعن أبي مَالِكٍ الْخَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوْبِقُهَا" رواه مسلم.

الفوائد

حديث عظيم بمعناه وقف معه ابن رجب الحنبلي رحمه الله وقفة طويلة في جامع العلوم والحكم.

من ضمن الأمور التي ساعدت الصحابة رضوان الله عليهم على سرعة حفظ الأحاديث:

سلامة الأذهان وقلة المشتتات -وهو عام بزمانهم-، أما واقعنا الحالي المشتتات فيه كثيرة، مثل شبكات التواصل.

أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم، فكلامه كان محدداً مرتباً سهلاً ﷺ.

المحبة، والحرص التام.

رعاية الله عز وجل لدينه.

حرص النبي ﷺ على الوسائل المعينة للحفظ.

وهذه الفوائد هامة في معرفة هدي النبي ﷺ.

الإيمان فُسر هنا بالصلاة.

الحديث فيه بيان فضل الذكر.

أورد النووي رحمه الله الحديث لجملة "الصبر ضياء".

الفرق بين الضياء والنور أن الضياء فيه إحراق.

الصبر والصلاة ييران طريق الإنسان.

كما تغدو وتروح فهناك غدوًا ورواحًا يؤثر في مصيرك، وهنا يدرك المرء أهمية يومه، فهل تعتقها أو توبقها في نار جهنم عافانا الله؟

2.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ بَنٍ مَالِكٍ بَنٍ سِنَانٍ الْخُذَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِهِ: "مَا يَكُنْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُ يُعَفِّهِ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَكْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الفوائد

هناك نصوصًا لن تفقه معناها إلّا عندما تكابدها وتعايشها، والتي منها هذا الحديث: "تعطى الصبر".

عندما تعطى الصبر في مقابل أي عطاء آخر فهو حتمًا خير منه، ومن حُرّمه فقد حُرّم خيرًا كثيرًا.

من الهدى النبوي في الحديث أن النبي ﷺ استنفذ ما لديه ثم نصحهم وهو أحرى لتقبل النصيحة.

3. وَعَنْ أَبِي يَحْيَى صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِإِحْدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ". رواه مسلم.

الفوائد

الشكر لا يقل أهمية عن الصبر.

حقيقة الشكر هي الاعتراف القلبي لله عز وجل بالنعمة، وحقيقة الصبر حبس النفس والتحمل والتجلد وعدم الوهن، هي معاني داخلية ثم تخرج بالفاظ وأذكار تقال.

الشكر هو ملاحظة النعمة وملاحظة المنعم، والأول هو "أبوء لك بنعمتك علي"، ثم تأتي منازل الشكر.

4. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَكَرَبَ أَبَتَاهُ، فَقَالَ: "لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ" فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ نُنَعَاهُ، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرَابَ؟ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الفوائد

موطن الشاهد من الحديث عظم صبر النبي ﷺ.

الصبر ملازم لحياة الإنسان والتي منها لحظة الموت، وهي ضمن نطاق التكليف ليست خارجة عنه.

5. وعن أبي زيد أسامة بن زيد حارثة مؤلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبّه وابن حبّه رضي الله عنهما، قال: أرسلت بنت النبي صلى الله عليه وسلم: إن ابني قد احتضر فاشهدنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول: "إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب" فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتيها. فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال رضي الله عنهم، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي، فأقعده في حجره ونفسه تققعق، ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: "هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده" وفي رواية: "في قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء" متفق عليه. ومعنى "تقعقعق": تتحرك وتضطرب.

الفوائد

الحديث فيه جانب من صبر النبي ﷺ والتي منها فقدان بعض ولده وأحفاده.

يفتقد هذا المعنى غير المؤمنين! تعريفك لابنك: عطية الله لك، فلو جاءتك مصيبة: فقد أخذ عطيته سبحانه، وليس شيئاً من ممتلكاتك، وهذا لا ينافي الحزن الفطري



أنوار السنة المحمدية

(التعليق على رياض الصالحين)